من وراء البحار

الصين ومشاكلها

يظن بعض الساسة أن الشرارة الأولى لأى نضال ينشب بين الروس والأمريكان سوف يبدأ فى الشرق الأقصى . ذلك ما يقوله هؤلاء الساسة وإن كان غيرهم يشير إلى مواقع أخرى قد يحدث فيها الاحتكاك . ومهما يكن من شئ فان الأخبار عن الصين قليلة ، حتى ليسر المرء أية معلومات يعثر عليها فى المجلات تكون مكتوبة بقلم رجل خبير . ولقد نشرت مجلة «القرن التاسع عشر وما بعده» بحثا من هذا النوع بقلم مستر تونى جبسون الذى قام وقتا طويلا بعمل إدارى فى شمال الصين ، وعهد إليه بمهمة المفاوضة مع الشيوعيين فى الصين ؛ فهو إذن يكتب عن خبرة . وهو يقول إن الحياة فى الصين قائمة على المساومة ثم الاتفاق . فاذا أراد التاجر الصينى أن يبيع أو يشترى فان المعاملة تفقد كثيرا من بهجتها إذا لم تقم على المساومة . وما يتفق عليه الطرفان ليس هو ما يؤملان فيه ولكنه نتيجة لمجهودهما . ولذلك يحب الصينيون الاتفاق على الأمور ، وهذا ما يحدث حتى فى الحروب ؛ فان الحروب فى الصين قد تكون مضيعة للوقت ولكنها لا تؤدى إلى نهك قوى الصينيين . وعند ما يتقابل جيشان متعاديان لزعيمين مختلفين فى تلك البلاد ويكون أحدهما أضعف من الآخر ضعفا ظاهرا ، تقوم بينهما المفاوضة وتؤدى عادة إلى انسحاب الضعيف منهما من ميدان القتال . فترى الفريق الأقوى منهما يترك للضعيف الفرصة كى ينعرف بهزيمته وينسحب دون إراقة الدماء .

ولكن يظهر الآن أن الصين دخلت طور التطرف . فقد حدث فى الأشهر الستة الأخيرة أن اصطدم جيشان كبيران ثلاث مرات اصطداما عنيفا ، ولم يحدث فى أية مرة من هذه المرات أن انسحب الجيش الضعيف . ففى منشوريا تقدمت الجيوش الوطنية إلى الشمال على طول خط السكة الحديدية وانتصرت على الشيوعيين فى معركة زينكاى نصرا كلفها كثيرا . وفى ولاية شانتونج تقدم جيش وطنى فى شبه جزيرة كياوتنج محاولا أن يمنع الشيوعيين من الوصول إلى البحر . وفى ولاية هونان وولاية شانتونج الغربية حاول الوطنيون أن يفتحوا المنطقة ويعبروا النهر الأصفر إلى أن يصلوا إلى مدينة شنجشون التى هى مركز للاتصال بالسكك الحديدية . ولكن الحروب فى الصين لا تنتهى إلى النهاية الثابتة التى تنتهى إليها المعارك فى الغرب . فهذه الهجمات الثلاث من الوطنيين انقلبت إلى حالة توقف عن إتمام العمل الذى بدأت به . ففى منشوريا عاد الشيوعيون إلى استعمال الأساليب التى كانوا يقاومون بها اليابانيين ، فأحاطوا بكل مدينة من المدن التى استولى عليها الوطنيون . فصارت الجنود الوطنية محصورة على حين لا يسيطر الشيوعيون على الأراضى فيما حول المدن . وفى شانتونج تمكن الشيوعيون من اختراق الجيوش الوطنية وعبور النهر الأصفر وقاتلوا فى معركة غير حاسمة

فى ميدان يبعد ثلاثين ميلا عن مدينة هانكاو . وقد أصاب الوطنيون نجاحا أكبر فى الميدان الثالث حيث أبعدوا الوطنيين عن البحر .

ولقد طبل الوطنيون وزمروا باستيلائهم على مدينة ينان عاصمة الشيوعيين فى السنة الماضية . ولكن الأمر انتهى إلى أن أحاط بهم الشيوعيون ، فصارت المدينة كأنها جزيرة فى أيدى الوطنيين يحيط بها بحر من الجيوش الشيوعية .

ويعتقد الكثير من الرقباء أنه ليس لدى أى الفريقين المتنازعين فى الصين من القوة ما يستطيع به الوصول إلى انتصار حاسم فى جميع الميادين . ولا ريب فى أن الوطنيين مسلحون تسليحا جيدا بالأسلحة الأمريكية ، ولكن الشيوعيين يعتمدون على تحمس الشعب لهم فى الجهات التى يسيطرون عليها وهو مالا يجده الوطنيون . ويأمل الشيوعيون فى مساعدة روسيا إذا زادت مساعدة الأمريكان للفريق الآخر . ومجمل هذا أن الفريقين عازمان على القتال إلى النهاية .

ففى مساحة تبلغ مساحة أوربا بأكملها لا تجد ضمانا للحياة ولا للمعيشة ، وكل فريق يجند الفلاحين فى وحداته . وإذا كان الرأى العام يميل إلى الشيوعيين فان الذين يجندون لا يقابلون هذا العمل بالحماسة . وتجد كل فريق يرتكب فظائع ضد الفريق الآخر زاعما أنه إنما يفعل ذلك انتقاما . وقد أخذت الصناعة فى تلك البلاد تختنق تدريجيا . وقد حاول الشيوعيون فى منطقتهم أن يمنعوا التجارة مع المنطقة الأخرى ولكن هذا غير مستطاع ما دامت الصناعة فى تلك المنطقة غير متقدمة . وفى منطقة الوطنيين أخل الخصم بالمواصلات حتى صار مرور البضائع صعبا جدا .

وليس هذا القتال القائم هو المسئول وحده عن الأزمة التى تواجه الصين الوطنية . فقد ظلت الحكومة الوطنية عدة سنين نهبا للاستغلال السياسى والاقتصادى على يد رجال الحزب ، ويستعمل الوزراء سلطتهم للربح غير المشروع . وقد رأى الحلفاء فى أثناء الحرب أن يغضوا عن هذه الأمور حفظا للوحدة . ومع ذلك رأى القائد الأمريكى جون ستلول أخيرا أن الاستمرار على هذه السياسة يسئ إلى الأمور أكثر مما يفيدها .

ولم تعمل الحكومة الوطنية لاخفاء الحقيقة على العالم الخارجى وحده بل اتخذت من سلطتها وسيلة لكم أنفاس المعارضة داخل البلاد .

ولكن الأمور لا يمكن أن تستمر على هذه الحال ؛ إذ أخذت الحقيقة تظهر حتى لأشد أنصار القائد الصينى . ولقد أرسل الجنرال فيدمير الأمريكى فى بعثة إلى الصين لبحث الموقف وكان تقريره خطيرا ، حتى عدل الرئيس ترومان عن إذاعته . ولكن الجنرال نفسه تكلم عند مغادرته للصين عن الموظفين الذين تنقصهم الكفاية أو تعوزهم الأمانة ممن يشغلون مراكز السلطة فى الحكومة الصينية الآن . ولا يمكن لممثل دولة صديقة أن يدلى بمثل هذا القول دون أن تكون لديه براهين ساطعة .

ولقد سارت الأمور الاقتصادية بأسرع من الأمور السياسية خطى فى طريق الخراب . فالتلاعب بالعملة على يد رجال المال فى نانكين وشنجهاى أدى إلى فضيحة ظهرت أخيرا وقد اشترك فيها رجال وزارة المالية . ولقد اضطرت عدة مصانع صغيرة إلى إغلاق أبوابها بسبب التضخم فى العملة . ففى نحو سنة ١٩٢٠ كان الدولار الصينى خمسة أضعاف قيمة الدولار الأمريكى ، وعندما

شبت الحرب الأهلية هبطت قيمة الدولار الصينى فبلغت فى سنة ١٩٣٧ خمس الدولار الأمريكى ، وفى سنة ١٩٤٥ صار سعر الدولار الأمريكى ألف دولار صينى ، وهو الآن ٩٣ ألفا ، ومع ذلك لا يزال التضخم مستمرا .

ولقد نشر أخيرا أحد الكتاب الصينيين مقالا عن سقوط دولة شنج التى حكمت بلاد الصين قبل ألفى سنة ، وفيه يقول : إن هذه الدولة جمعت السلطات فى يدها ، وإن هذا الجمع للسلطة مع اتخاذ قوانين استثنائية قد أدى إلى النضال والثورات . وقد لفت هذا المقال الأنظار واعتبره الناس سبيلا لوصف الحالة القائمة لا لوصف سقوط دولة تاريخية . ولكن من الملاحظ أن الصين كثيرا ما تتغلب على رجالها الحكمة حين تبدو الأمور فى أشد الخطر ، فتعود الأمور إلى تسوية معقولة .

ومما يلاحظ أيضا أن الطلبة فى الصين مثل زعمائهم يتراوحون أحيانا بين التطرف فى العمل والخضوع مع السكينة ، وكثيرا ما هبوا لانقاذ بلادهم . وفى سنة ١٩١١ أيدوا رسالة الدكتور سان يات سن ونصروه فأثروا بذلك فى الملايين؛ فكانت النتيجة طرد الأسرة المالكة وتولى الدكتور سان زعامة الصين الحديثة . وكان الطلبة هم الذين نشطوا فى سنة ١٩٢٦ ونظموا الجماهير الجاهلة للقضاء على سلطة الحكام فى الولايات الصينية .

والآن تقدم الطلبة مرة أخرى لانقاذ الصين ، فاحتجوا على استمرار الحرب الأهلية والرشوة التى انتشرت فى مصالح الحكومة المختلفة ، وذلك بالرغم من تهديدات الحزب الحاكم وبالرغم من المعسكرات التى حجزوا فيها والاعتداءات التى لاقوها من رجال الشرطة السياسية . ولقد استفادت الحكومة الوطنية كثيرا من الأنظمة التى كانت متبعة فى البلاد الألمانية تحت النظام النازى ، فألفت من الشباب المناصر لها جنودا تتخذهم جواسيس ويكونون أداة لها فى امتداد سطوة الحكومة . ويجد الأجنبى من أنواع الشرطة فى الصين مالا يستطيع تمييزه ، ولكل من هذه الأنواع واجبه المدنى والسياسى . وفى جهات كثيرة مثل شنجهاى التى هى بعيدة عن ساحات القتال تجد الأحكام العرفية قائمة منذ سنين ولا حد لسلطة القواد العسكريين .

ومنذ شهر أبريل الماضى خرج آلاف من طلبة الجامعات فى كل مدينة من المدن الصينية إلى الشوارع وهم ينادون بالرغم من السياسيين بوقف الحرب الأهلية ، ولا يزالون يطالبون بذلك وإن كانت بعض الجامعات تحيط بها الأسلاك الشائكة ويقف حولها رجال الشرطة بأسلحتهم .

وعلى أثر أول صدام بين حركة الطلبة والحكومة الوطنية فى مايو ويونيه الماضيين هدأت الأمور مؤقتا فى حين أخذ كل من الفريقين يجمع جموعه . وقد أرسل القائد العام باقة من الزهر لتحمل فى جنازة الطلبة الذين قتلوا بيد الشرطة ، وظهرت نداءات داعية إلى ضبط النفس والابتعاد عن العنف . ومما يلاحظ أن هذه النداءات كانت موجهة للمعتدى عليهم لا لرجال الشرطة والجيش . ولكن يظهر أن الزمن الذى تذرف فيه دموع التماسيح قد مضى وتجددت الأنباء الآن بعودة المشاغبات وعودة القبض على الطلبة . ولقد أظهر الطلبة شجاعة وإصرارا ، ولكن هاتين الصفتين ليستا كل ما يميزهم بل خير صفاتهم هو الاحتمال . فهم الآن واقفون بين الفريقين المتطرفين اللذين يمزقان الصين تمزيقا . فهؤلاء الطلبة ينادون بأن على الفريقين أن يسويا ما بينهما من خلاف

وهم لا يريدون الصلح بأى ثمن ، وإنما يريدون وقف تلك الحرب التى ستقضى على البلاد كى تستأنف البلاد العمل لاعادة بنائها الاقتصادى وإحياء القيم الاخلاقية .

ومما يسترعى النظر فى حركة الطلاب ما حدث بها من تغير منذ تهر يوليه الماضى . فقد كانت هذه الحركة تجأر بالشكوى من غلاء المعيشة وتدخل الحكومة فى الدراسات وتحويل ميزانية التعليم إلى الامور الحربية والقضاء على الحريات فى كل مكان . ولكن الطلبة الآن لا يهتمون بالشكوى بقدر اهتمامهم بوسائل العلاج . وأول علاج يرونه ضروريا هو وقف الحرب الأهلية وأن يبدل بالحكومة القائمة حكومة تتألف من المعتدلين من رجال اليمين واليسار . ولكن الطلبة يحاولون شيئا أكبر خطرا من ذلك ؛ فقد قرروا أن يقوموا بثلاث واجبات هامة : أولها أن يعملوا لضم الفلاحين إلى حركتهم وأن يحيوا فكرة تربية الجماهير . وأخذ الطلبة يقصدون القرى ليبتدئوا هذه الحركة من أولى درجات السلم ويعلموا الفلاحين مبادئ القراءة . وهم يحملون رسالة أساسية للاقتصاد القومى فى الصين اليوم ؛ فهم يريدون أن يقيموا فكرة الاعتماد على النفس كما نراها فى إحياء الصناعات الريفية بطريقة تعاونية . وهى حركة تعد فى مبدئها بالنسبة لمجهودات الطلبة ، وإن كانت قد انتشرت منذ عشر سنوات لغرض آخر هو إيجاد مصنوعات يستغنى بها الجيش فى مقاومته لليابانيين . وقد أخذ الطلبة يصنعون بأنفسهم مصنوعات يستطيعون بيعها فى الشوارع لمساعدة حركة الطلاب . وهم يتوسعون أيضا فى رسالتهم ، فهم يريدون أن تكون الصين مستغنية بنفسها لا تعتمد على الاستغلال التجارى الأجنبى . وقد ظهرت أكبر النتائج لهذه الحركة فى المدن الكبرى التى بها جامعات فى الأشهر القلائل الأخيرة . فهم لم يكتفوا ببيع المصنوعات التى صنعوها بأنفسهم فى الشوارع ، بل قصدوا التجار الصينيين فى كل مدينة واتفقوا معهم على بيع مصنوعاتهم وتقسيم الربح بين التاجر وبين صندوق الأموال الذى يغذى حركتهم . وقد حدث فى المدن الساحلية مثل شنجهاى أن فقدت الحوانيت الأجنبية عملاءها بين يوم وليلة ؛ اذ صار الناس فى كل مكان يصغون إلى نداء الطلبة : «اشتروا البضائع الصينية ولو كانت من نوع أقل جودة فان ذلك هو السبيل الوحيد لاستقلال التجارة الصينية .»

وكان أثر هذه الحملة عميقا ؛ فلم تمض أسابيع حتى استطاع الطلبة بجهودهم أن يدبروا من الأموال ما يكفيهم للاستمرار فى دراساتهم بالرغم من أن الحكومة قررت معاقبة الذين يعارضونها منهم بالحرمان من المجانية .

وفضلا عن ذلك فان طبقة التجار البعيدة عن السياسة صارت تؤيد قضية قيام حكومة متألفة .

وإذا كانت حركة الطلبة متجهة فى أساسها نحو الاقتصاد الوطنى فان لها تأثيراً آخر إذ اتجهت نحو الاحزاب الديمقراطية فى الصين . ولقد أخذا الأحرار يتتبعون خطوات الطلبة فى شئ من التردد . فقد كانوا خائفين من بطش الحكومة ، ولكنهم أخذوا يرفعون الصوت تأييدا للطلبة ، وأبدى المعلمون والأساتذة بل موظفو الحكومة أنهم فى صف أولئك الذين يعملون لاحياء الوطن .

هذه هى الحرب القائمة داخل الحرب

الأهلية الأخرى فى الصين وإن كان الناس لا يعرفون عنها كثيرا . فان الصحف توقف ، والصحفيين يقبض عليهم ، والسياسيين يختطفون أو يفرض عليهم الحجز فى منازلهم . ولكن بالرغم من ذلك تتسرب الأنباء بأن النضال مستمر .

ولا يزال الفريقان المتطاحنان يمزقان أوصال الصين ، ولكن هذه القوى الحيوية تعمل لاحياء البلاد وإنقاذها من الموت .

بريطانيا وحكومة العمال

فى مقال ساخر - بمجلة « بارتيزان » عدد ٦ - وصف الكاتب آرثر كيستلر حالة انجلترا وصفا طريفا ، بدأه بلغز يسترعى به الانظار سائل فيه ما السبب فى أن الكاتب - أى كيستلر - يعد نفسه سعيداً فى السنة الثالثة من حكم الاشتراكية البريطانية فى انجلترا لو أنه كان كاثوليكى العقيدة وكانت له جدة مريضة ؟ وهو يجيب على هذا اللغز بقوله : إنه لو كانت له جدة مريضة لسمحت له الحكومة البريطانية بما يكفيه من البنزين ليأخذها بسيارته مرة فى الأسبوع للصلاة فى أقرب كنيسة كاثوليكية وهى فى مدينة بنجور على مسافة ٥٠ ميلا ، وبهذه الطريقة يستطيع أن يذهب إلى أماكن عدة ويرى العالم من حوله . ولا ريب فى أن الجدة لو كانت تابعة للكنيسة الانجليكانية أو الويزلية لنفعت فى مثل هذا الأمر ، ولو أن الكنائس تكون أقرب فى المسافة وأن البنزين يكون أقل . وهو يقول إنه خال من مثل هذه القرابة ، وليس من الذين يرتادون الكنائس ؛ ولذلك فهو فى موقف صعب ، وهو يعيش فى تلال ويلز وسكنه يبعد عن موقف السيارات العامة فى الريف بنحو ميل . وهذه السيارات لا تعمل بعد الساعة التاسعة مساء ولا تعمل مطلقا فى يوم الأحد . وأقرب بلدة يوجد فيها حوانيت وسينما ومحطة للسكك الحديدية من القرية التى يعيش فيها تبعد ميلين . وهو يكون سعيدا لو منح ترخيصا خاصا بأن يذهب لشراء حاجاته مرتين فى الأسبوع . على أنه لا يسمح له إلا بشراء حاجته وألا يكون له الحق فى أن يستعمل القطرات التى يعطاها من البنزين لهذا الغرض فى زيارة صديق أو الذهاب إلى السينما أو تناول الطعام خارج الدار . وعلى كل رجل من رجال الشرطة أن يبلغ عنه لو رأى سيارته متحركة أو واقفة فى أى مكان خارج عن أقصر خط يصل بين داره وأقرب الحوانيت إليه . ومعنى هذا أن يقضى الشتاء بأكمله هو وزوجته دون أن يستطيع زيارة الأصدقاء أو الذهاب إلى مطعم عام أو دار سينما أو مسرح أو محاضرة أو حفلة موسيقية . ولنتفكر فى هذا الأمر قبل أن تستمر فى القراءة .

وهو يدعونا إلى التفكير فى أن هذه حال مئات الآلاف من الناس يعيشون فى الريف ولا يجدون وسائل النقل ، فهم لا سيما فى فصل الشتاء حين تظلم الدنيا مبكرة ، ينقطعون عن الحياة الاجتماعية والثقافية ، وكأنه فرض عليهم الحجز فى بيوتهم ، على أنهم فى يوم الأحد يستطيعون الذهاب بسياراتهم فى موكب إلى الكنيسة . والعجيب فى الأمر أن حكومة اشتراكية

ترى أن الذهاب إلى الكنيسة أهم من المحاضرات والمسارح والاجتماعات . وليس لهذه الظاهرة ما يماثلها غير مقاطعة الحكومة البريطانية لانتاج الكتب . وليست هنالك كلة أخرى تصف السياسة التى تجرى عليها تلك الحكومة حين تخفض من الورق الذى يعطى للناشرين .

وينتقل الكاتب بعد ذلك إلى البحث فيما يعنيه منع الناس من استعمال سياراتهم من الجهة الاقتصادية ، وهو يقول إن الحكومة البريطانية تزعم أنها توفر بذلك ما قيمته ٤ مليون دولار من البنزين الذى تستورده من الخارج ، ولكن نقادها ومنهم أعضاء فى حزب العمال يرون أنها لن تقتصد أكثر من عشرين مليونا . وقد ظهر حتى الآن أن نقاد الحكومة فى الأمور الاقتصادية كانوا دائما على حق فى حين كان المدافعون عنها خاطئين . ومع ذلك لو أننا قبلنا تقدير الحكومة فان هذا الشلل الذى يصيب المواصلات فى بريطانيا لن ينقص من العجز الناشئ عن قلة الصادرات غير ١ ٪ من مجموعه . وتعترف الحكومة فضلا عن ذلك أن خسارتها فى ضرائب السيارات تزيد كثيرا على المبلغ الذى اقتصدته ، ولكنها تعتذر عن ذلك بأن الضرائب تدفع بالعملة الاسترلينية لا بالدولارات ؛ ولذلك كانت هذه الخسارة غير مكروهة . ثم تعترف الحكومة كذلك بأن عددا كبيرا من عمال الآلات الخاصة باصلاح السيارات وحاملات البنزين وغير ذلك لا يجدون عملا ، وتقول الحكومة مع ذلك إن هذا الأمر لا يهم ؛ فان صناعات أكبر انتاجا سوف تتشربهم . وكلة التشرب هذه كلة موفقة نافعة ، وهى لا تشير إلى الكيفية التى بها تنتقل الأسر من الأماكن التى قل بها العمل إلى الأماكن التى بها نقص فى الأيدى العاملة ، وبها فضلا عن ذلك نقص فى المساكن للأسر الوافدة . هذه الكلمة ولا تشير إلى ما سيحدث فى المستقبل إذا عاد الناس إلى استعمال السيارات ، وكيف يعود هؤلاء الناس إلى عملهم الأصلى وديارهم الأصلية . وعلى الجملة لكى تقتصد الحكومة من خمسة إلى عشرة فى الألف من عجزها فى الدولارات تراها تشل حركة النقل الخاصة وتضع عبئا جديدا على وسائل النقل العامة ، وهى بعد مثقلة بما يكفيها ، وهى تنزل عن باب هام من إيراداتها تفكك أوصال صناعة هامة منتشرة فى جوانب البلاد ، وهى تحول بين طبقة كبيرة من السكان وبين التمتع الاجتماعى والثقافى . وهى تغضب الطبقات الوسطى والتى هى أقل من الوسطى والعليا من طبقة العمال لدرجة رئى أثرها فى الانتخابات البلدية حين حاقت بمرشحى العمال هزائم منكرة ؛ فهى تسير على سياسة إنفاق دينار لكى تقتصد درهما .

وانتقل الكاتب بعدئذ إلى الجانب السياسى من هذا التقييد ثم قال : هكذا تستمر الحكومة فى قتل روح حب العمل . فاذا اختفت هذه الروح نرى ظهور أعراض نفسانية أخرى منها تلك الموجة من الاضرابات التى يصح أن نسميها الاضرابات النفسانية ؛ فهى ليست إضرابات اقتصادية رغبة فى زيادة الأجور ، ولا هى إضرابات سياسية ، بل هى مجرد انفجار فى الغضب من تلقاء نفسه يكون أحيانا لأسخف الأسباب مثل إضراب عمال الفنادق الذى حدث أخيرا . وكثيرا ما يكون الاضراب موجها إلى الادارة السيئة للصناعات التى أممت كاضراب عمال المناجم فى يوركشير ، وهنالك أغراض أخرى . ولكنها صادرة عن المصدر النفسانى ذاته ، مثل ذلك العدد من الانجليز الذين

صاروا بين أولئك الذين لا يحاولون العمل وبين رجال العصابات . وتعلن الاحصاءات الرسمية أن هنالك نحو ربع مليون من هؤلاء يتهربون من تسجيل أسمائهم فى سجلات نقابات العمل ويشتغلون فى السوق السوداء ويشغلون وقت الشرطة المخصصة للمجرمين ، ويزداد هذا العدد باطراد . ولقد كانت بريطانيا منذ سنة تفخر بحق بأنها الدولة المحاربة الوحيدة التى لا تسود فيها السوق السوداء ، ولكن الحالة اليوم قد تغيرت ؛ فقد أخذ الزراع يذبحون ما شيتهم بطريقة غير مشروعة كما يحدث فى فرنسا . واعترفت وزارة التموين أخيرا أنها غير قادرة على منع هذا العمل . وهذه الأغراض وكثير غيرها تدل على ضعف فى القوة الأخلاقية فى البلاد . وهذا ناشئ من أنه حيل بينها وبين فيتامينات روح الابتداع والدوافع على العمل وقوة الآمال . ومن أعجب هذه المظاهر النفسانية ذلك الجنون الذى استولى على العقول ودفع بها فى تيار المراهنات بما لم يكن له مثيل . فقد كان الناس فى بريطانيا يراهنون دائما على لعب الكرة والخيل والكلاب ، ولكنهم انتقلوا الآن إلى أسخف الأمور كالمراهنة على آخر رقم على تذكرة الترام أو الحرف الأول من عمود من أعمدة الصحف المسائية . وقد يكون الرهان تافها ولكن المسألة لا تتعلق بالنقود بل هى الرغبة فى شئ من التسلية القليلة فى بلد حرم التمتع .

ويقول الكاتب إنه يطيل الكلام على هذه العوامل لأنه يعتقد أن مشكلة إيجاد الحوافز على العمل هى أهم وأصعب مشكلة فى الاقتصاد الاجتماعى . وهو يرى أن إخفاق الاشتراكية فى روسيا ناشئ عن انتهاء الحوافز الثورية وما تبع ذلك من ضرورة الالتجاء إلى الحوافز القديمة كالدعوة إلى الجامعة السلافية وعبادة الزعيم والعمل القهرى والقضاء على الاضطرابات وعلى الوراثة وعلى امتيازات الطبقات وغير ذلك . أما بالنسبة للاشتراكية البريطانية وهى اشتراكية اصلاحية وتدريجية ، فان مشكلة الحوافز تتخذ شكلا آخر . وليست بظاهرة الأهمية كما هى فى حالة روسيا بعد الثورة البلشفية الاجتماعية ، ولكنها حاسمة بقدر ما هى فى روسيا فى نجاح هذه الاشتراكية أو إخفاقها . ولما كانت سياسة حزب العمال فى الصناعات التى أقيمت ووضعت تحت إشراف الحكومة هى سياسة أكثر عدلا وديمقراطية وأشد تحقيقا لآراء اليساريين من الوجهة الاقتصادية عن سياسة نظام ستالين فهى لا تلتجىء إلى تلك التفرقة العجيبة بين الأجور وامتيازات نظام الساخونيفين والاستقلال والارهاب الذى هو محور استمرار الصناعة السوفيتية ، ولا هى تقدم تلك الحوافز المباشرة للنظام الرأسمالى ؛ إذ يؤدى العمل إلى التقدم المادى ويزيد هذه الحوافز قوة الخوف من العطلة وهذا ما نراه فى الصناعة الأمريكية .

تلك هى المشكلة الأساسية للديمقراطية الاجتماعية البريطانية ، كما أنها مشكلة لكل نظام ديمقراطى ، وهى ميراث من النظام السابق الذى انتقل إلى يد الديمقراطية من يد الطبقة الحاكمة بعد الافلاس التام . ولا يمكن حكومة العمال أن تحل هذا المشكل إلا بقوة خيال كبيرة تبذل فى سبيل ذلك ، ويجب أن تبعث الوعى الثورى الحقيقى فى نفوس الجماهير ، وأن يزيد الشعور بالمسئولية لا فى النقابات الوطنية ونظامها البيروقراطى ، وإنما فى رجال المصانع أنفسهم وفى أنظمة أندية العمال ومعسكرات النزهة وغيرها من

أنواع وسائل الترفيه . وفى عبارة أخرى تقوية الشعور السياسى والتمتع بالحياة . ولكن الناس لا يجدون الآن فى بريطانيا غير الاعلانات القائلة : إما العمل أو الحاجة ، ولا يجدون غير المواعظ والحكم على استعمال السيارات بالاعدام .

ولو استمر هذا الحال سنتين أخريين لخسر حزب العمال الفرصة التاريخية خسارة لا تعوض ، ويذهب فى الطريق التى سلكتها من قبل الأحزاب الديمقراطية فى ألمانيا والنمسا وفرنسا .

ولقد بدت الظواهر الخطيرة التى حدث مثلها من قبل فى أحزاب القارة الأوربية فى معاملة حزب العمال البريطانى للطبقتين الوسطى والعالية ، فقد أخافت جمهورية فيمار الألمانية أصحاب الصناعات فى الروهر ورجال العسكرية فصاروا أعداء ألداء لها ؛ فقد ظلت تخزهم بالابر ، ولكنها نسيت أن تكسر من شوكتهم فكانت النتيجة محتومة . ومثل ذلك حدث فى النمسا ، ومثل ذلك حدث فى فرنسا زمن الجبهة الشعبية ، وهو مظهر يتكرر مع تعديل بسيط محلى . وكأن مصارع الثيران الشاب قد دخل الساحة وانحنى لجمهوره المتحمس وبدأ يرفع رداءه الأحمر فى وجه الثور حتى جن الحيوان ، ولكن فى اللحظة الحاسمة ظهر له أنه نسى سلاحه فى المنزل ، وحينئذ لا بد أن يحمل على المحفة صريعا أمام جمهوره الذى يلقى عليه الوسائد والبيض إظهارا لسخطه .

وفى عبارة أخرى لا تستطيع حكومة اشتراكية إلا أن تختار بين أمرين : إما القضاء على الطبقة الحاكمة القديمة ، و إما إيجاد وسيلة للعيش معها . وقد حاولت كل حركة اشتراكية ديمقراطية تولت السلطة فى أوربا منذ سنة ١٩١٨ أن تتجنب هذا الاختيار . وفى كل مرة كانت الحركة تخفق ضحية لمحاولة تجنب هذا الاختيار . قد يقال إن تاريخ بريطانيا الاجتماعى هو سلسلة من الاتفاقات وحيدة فى بابها ، ولكن العوامل الجغرافية والسياسية والنفسانية التى أدت إلى هذا ليست قائمة الآن ، وإن الاعتقاد فى القوة السحرية لعلاج المسائل بالاتفاق فى مثل الخلاف بين عمال المناجم ورجال حى المدينة وبين الدولة ووزارة الخارجية البريطانية ، هو اعتقاد لا أساس له كالاعتقاد الراسخ فى قيمة السفن الحربية من طراز المدرعات الكبيرة ، والاعتقاد فى قوة الأعشاب العلاجية بدلا من السحب ذات النشاط الاشعاعى .

ثم أخذ الكاتب يسرد أمثلة على عدم توفيق الحكومة البريطانية فى معالجة الشؤون الداخلية والخارجية .